الشريف المرتضى نموذج الاعتدال في عصر الاختلاف

أ. م. د. نعمة ساهي حسن الموسوي

جامعة ميسان– كلية التربية – قسم التاريخ

Nehme – sahi@uomisan.edu.iq

الشريف المرتضى نموذج الاعتدال في عصر الاختلاف

أ. م. د. نعمة ساهي حسن الموسوي

ملخص البحث

يصدر البحث عن فكرة ما تتحمله النخب الدينية والسياسية والثقافية من مسؤولية كبرى في تحقيق عنصر التوازن والاعتدال في المواقف والطروحات، سيما في ظروف ومآلات التصادم والانقسام على المستوى السياسي والمذهبي والفكري. فآثر أن يسلط الضوء على شخصية الشريف المرتضى في ارساء ثقافة الاعتدال في عصر مليء بالتقاطع والاختلاف على المستويات المذكورة. فكان بحق إحدى العلامات البارزة والفارقة في ذلك العصر سواء عبر سلوكه السياسي والاجتماعي أو عبر زعامته الدينية وتراثه الثقافي بشتى حقوله. فهو غالباً ما كان عاملاً للإسهام في تخطي المجتمع العراقي لإشكالات السياسة والاختلاف المذهبي وبناء جسور الثقة وثقافة التعايش السلمي بين أبناء المذاهب الإسلامية في عصره.

The study proceeds with the notion that cultural , political and religious elites have the responsibility of achieving the element of balancing and tolerance in worldviews and attitudes , more specifically ,in the circumstances of clash and division on the epistemic , etheric and political levels . therefore , The study has shed light on AL- Sharif AL- Murtadha who set the cultural of tolerance in an age full of crossroadsand divergences on the ata . He is , in reality , the brand mark of that age by and through his social and political behavior and , in addition , through his religious and cultural heritage . He has often contributed to make the Iraqi society skip over the sectarian and political problems and to bridge gaps of confidence and spread the peaceful settlement among the Islamic teams in his time .

المقدمة:

عاش الشريف المرتضى(٣٥٥-٤٣٦هـ). في عصر تصاعدت فيه وتيرة الاختلافات المذهبية والعقائدية والسياسية، إذ نشأت دولتان كان لهما كبير الأثر في العالم الإسلامي حيث قامت دولة الفاطميين في المغرب ومصر[١]، وفرض البويهيون[٢]سيطرتهم على بلاد فارس منذ عام(٣٢٠هـ). ودخلوا بغداد عام(٣٣٤هـ)في عهد الخليفة المستكفي العباسي(٣٣٣-٣٣٤هـ)[٣]. وكانت السلطة البويهية موزعة بين الأخوة الثلاثة:

١/ الأخ الأكبر أبو الحسن علي بن بويه الملقب **بعماد الدولة**، وهو يحكم الجزء الجنوبي من بلاد فارس. وهو أيضاً السلطان العام للدولة البويهية كلها.

٢/ الأخ الأوسط أبو علي الحسن بن بويه، الملقب **بركن الدولة**، وهو يحكم الجزء الشمالي من بلاد فارس. أي بلاد الجبل والري وطبرستان.

٣/ الأخ الأصغر أبو الحسين أحمد بن بويه، الملقب **بمعز الدولة**، وهو يحكم اقليم العراق مضافاً للأهواز[٤].

وقد لقب الأمراء البويهيين بهذه الألقاب من قبل الخليفة المستكفي(٣٣٣-٣٣٤هـ)بالله العباسي، عندما سيطر أحمد بن بويه على بغداد عاصمة الخلافة العباسية[٥]. وقد بقي البويهيون مسيطرين على الحكم في تلك الأقاليم حتى سقوطهم على أيدي السلاجقة عام(٤٤٧هـ)[٦]. فكانت هذه المرحلة مرحلة انهيار وضعف شديد في مؤسسة الخلافة، حتى بات الخليفة فيها ألعوبة بيد الأمراء و الأمراء البويهين. وفضلاً عن النزاع السياسي الذي رافق نشوء هاتين الدولتين، وتداخل علاقاتها ومصالحها في بغداد والعراق بشكل عام، فقد حدث نزاع شديد في الجوانب الاجتماعية والسياسية ، زاد من تركيزه وتفعيله ارتباط الحكام بمؤسسة السلطة، فالفاطميون يريدون التمدد على حساب مؤسسة الخلافة في بغداد، معولين في ذلك على الانسجام المذهبي بينهم وبين السلطة البويهية[٧].

رسُم لنا المؤرخ **ابن الأثير الجزري**(٦٣٠هـ)في أحد نصوص تاريخه معالم ذلك العصر، وما أَلَّمَ بمؤسسة الخلافة من ضعف وتبدد في السلطان فقال: **لم يبق للخلفاء العباسيين من الأمر شيء البتة، وكانوا قبل ذلك يُراجَعون ويُؤخذ أمرهم فيما يُفعل، والحرمة قائمة لهم بعض الشيء، فلما كانت أيام معز الدولة البويهي(٣٣٤-٣٥٦هـ)زال ذلك جميعه، بحيث إن الخليفة العباسي لم يبق له وزير وإنما كان له كاتب يدبر أقطاعه وأملاكه وشؤونه المالية، وذلك دلالة على انتقاض سلطانه السياسي. وصارت الوزارة للأمير البويهي معز الدولة يستوزر لنفسه من يريد.....، حتى لقد بلغني أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في إخراج الخلافة من العباسيين، والبيعة للمعز لدين الله العلوي الفاطمي(٣٤١-٣٦٥هـ)أو لغيره من العلويين، فكلهم أشار عليه بذلك عدا بعض خواصه فإنهم قالوا له: ليس هذا برأي فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنَّه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلوا أمرهم بقتلك لفعلوا فأعرض عن ذلك . وتسلم معز الدولة العراق بأسره، ولم يبق بيد الخليفة منه شيء البتة، إلا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجته"**[٨].

وبالمقابل كانت الخلافة العباسية ضعيفة وعاجزة أمام السلطة البويهية مما فعها للاستسلام للأمر الواقع؛ إذ أصبح البويهيون هم المتحكمين في السلطة ومجمل شؤون الدولة، وغدا ما يفعلونه ويقرونه أمراً نافذاً بنفوذ سلطتهم. وقد أبرز **الذهبي**(٧٤٨هـ) مدى الضعف الذي كان عليه الخليفة قبالة السلطة البويهية،

سيما في عهد الخليفة المطيع لله العباسي(٣٣٤-٣٦٣هـ)فقال:" **كان تحت يد معز الدولة البويهي وليس له معه حل ولا ربط..، وانحطت رتبة الخلافة جداً**"[٩]. وقال **ابن الطقطقي(٧٠٩هـ)**يصف حال الضعف والتردي للخلافة العباسية في الأيام الأخيرة من حكم المستكفي(٣٣٣-٣٣٤هـ)وبداية خلافة المطيع:" "**ثم اضطربت أحوال الخلافة، ولم يبق لها رونق ولا وزارة، وتملك البويهيون، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال إليهم، وقرر للخلفاء شيء طفيف برسم إخراجاتهم..، ثم ملك المطيع..، وكان أمره ضعيفاً**"[١٠]. وقال **أبو الفداء(٧٣٢هـ)**:" **وازداد أمر الخلافة إدباراً، ولم يبق له من الأمر شيء، و تسلم نواب معز الدولة العراق بأسره، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة للخليفة مما يقوم ببعض حاجته**"[١١].

وبطبيعة الحال كانت السيطرة السياسية البويهية مع الاختلاف الفكري بينها وبين السلطة العباسية، تعني بالنتيجة ومن جهة أخرى، إبراز التوجهات البويهية التي يتبنونها، والتي كانت محضورة وممنوعة ومغيبة طيلة الفترة السابقة جراء التهميش والاقصاء السياسي والفكري، ولذا كانت هذه المرحلة علامة فارقة في رسم معالم الخارطة الفكرية في العراق، وكانت مما توخى رصده **ابن الأثير** حين ذكره لبعض حوادث عام**(٣٥٢هـ)**إذ قال:" **في هذه السنة وفي العاشر من المحرم أمر معز الدولة البويهي الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قبابا عملوها بالسواد، وأن يخرج النساء منشرات الشعور مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك.**"[١٢].

ومع إن البويهيين كانوا قد منحوا حريات واسعة لمختلف الطوائف والمذاهب، بممارسة عقائدها وطقوسها. إلا إن هذه الممارسات كانت لاشك ستجابه بالرفض والمقابلة من قبل بعض الناس . ولما لم تستطع الخلافة العباسية الوقوف بوجه هذه المراسيم والطقوس، فإنهم عملوا على مقابلتها بمناسبات خاصة بهم، فأقاموا ما يمكن أن يكون بإزاء يوم عاشوراء، فجعلوا بعده بثمانية أيام يوماً نسبوه إلى قتل مصعب بن الزبير، وزاروا قبره في منطقة مسكن[١٣]، كما كان يزار قبر الحسين(ع)بكربلاء. وكذلك عملوا بإزاء يوم عيد الغدير، وتحديداً بعده بثمانية أيام أذ ادعوا أنه اليوم الذي دخل فيه النبي(ص) مع أبي بكر في الغار، وعملوا في هذا اليوم ما يفعله الشيعة في يوم عيد الغدير، وكان أول ما عمل هذا عام (٣٨٩هـ)[١٤].

ولكن سياسة التسامح هذه، كانت بما تحمله من ايجابيات ومحاسن، فإنها من جانب آخر أضحت مطية للكثير من المتشددين والمتطرفين سيما من المذاهب الإسلامية الأخرى، فأحدثوا العديد من الفتن والاضطرابات والاعتداءات والنزاعات والاقتتال بين أبناء الطوائف الإسلامية وغير الإسلامية. وقد رصد المؤرخون عدداً غير قليل منها ولكننا ولخصوصية البحث سنشير إلى ما حدث منها خلال تولي الشريف المرتضى لمهام نقابة الطالبيين.أي ما وقعت منذ عام(٤٠٦هـ)فصاعداً، باعتبار تحقق التمكن السياسي والاجتماعي والديني لشخصية البحث عبر ما تولاه من المسؤوليات الإدارية التي ورثها عن أسرته. وكذلك

سنشير إلى ما وقع من تلك الفتن في العراق تحديداً ولا سيما في بغداد ، وإلا فهناك فتن كثيرة في العراق بين الأتراك والعيارين وغيرهم ، فضلاً عن الفتن والنزاعات المذهبية في أمصار الدولة الإسلامية الأخرى. وسيعمد لتقصي ذلك عبر محاور ثلاثة، يهتم **الأول** منها بالبيئة الأسرية للشريف المرتضى ودورها في تكوين شخصيته العلمية والثقافية والسياسية. ويبين المحور **الثاني** واقع وعصر التصادم الفكري والسياسي ومن ثم دوره في وأد بعض الفتن، ومحاولاته الجادة لردم الفجوة المذهبية بين أبناء المجتمع العراقي. أما المحور الثالث فسيلقي الضوء على مساحة الاعتدال الفكري والثقافي التي مثلها الشريف المرتضى عبر تراثه الديني والأدبي وكيف أنه كان انموذجاً للاعتدال في عصر الاختلاف للإسهام في تخطي المجتمع لإشكالات السياسة وبناء جسور الثقة وثقافة التعايش السلمي بين أبناء الدولة الإسلامية.

المحور الأول: البيئة الأسرية للمرتضى وأثرها في تكوين شخصيته

مع ما كان يحمله هذا العصر من طابع مضطرب على المستوى السياسي، كان من جانب آخر يشهد تطوراً علمياً وثقافياً واسعاً، سيما وأن البويهيين بما منحوه من حريات اجتماعية وعقائدية واضحة، وما كانوا عليه من حب للعلم والعلماء والثقافة والأدب، وما وفروا من الأجواء والمناخات اللازمة لنمو الحركة العلمية والفكرية والثقافية في البلاد الإسلامية، هيأوا كافة العوامل والأسباب اللازمة لتميز ذلك العصر بتطوره الثقافي والحضاري.

ولعل خير دليل على ذلك أن المستشرق الألماني(*Adam Mes*=**آدم متز.ت١٩١٧م**)[١٥] اختار هذا العصر تحديداً ليكون مجال بحثه ودراسته في كتابه القيم(**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**). بل إن هذا الكتاب جاء بالألمانية بعنوان(*Die Renaissance Des Islams*= نهضة الإسلام) وهي عبارة مختصرة للدلالة على حضارة عصر النهضة في الإسلام كمقابل لما كتب عن حضارة عصر النهضة في أوربا[١٦].

ومما ميز هذا العصر أن كثيراً ممن تولوا الحكم وإدارة شؤون البلاد فيه كانوا من ذوي الثقافات العالية، والاهتمام الملحوظ بالأدب والثقافة والعلم والحركة الفكرية عموماً، ومنهم **عضد الدولة البويهي** الذي وصفه **أبو منصور عبد الملك الثعالبي**(ت٤٢٩هـ)في كتابه(**يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**)قائلاً: **كان على ما مكن له في الأرض، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض، وخص به من رفعة الشأن، وأوتي من سعة السلطان، يتفرغ للأدب، ويتشاغل بالكتب، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء، ويقول شعراً كثيراً، يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت، وما أدري كم فصل بارع، ووصف رائع، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة.** وذكر بعضاً من أوصاف الأديب والوزير الصاحب بن عباد لشعر عضد الدولة البويهي، ونماذج تدل على هذه الحقيقة من شعره[١٧]. ومن شخصيات ذلك العصر البارزة أيضاً **عز الدولة بختيار بن معز الدولة** وهو الآخر كان شاعراً مميزاً وله شعر جيد، ذكر له الثعالبي بعض

الأبيات[١٨]. وكذلك **تاج الدولة بن عضد الدولة** وهو أكثر آل بويه معرفة بالأدب والشعر، وقد ذكر الثعالبي بعضاً من أشعاره[١٩]. وقد أسهب المستشرق **آدم متز** في كتابه سالف الذكر بيان مجمل صفات وأحوال أمراء البيت البويهي[٢٠].

كما كان بعض وزراء **بني بويه** هم الآخرين من أبرز الشخصيات الأدبية والعلمية والثقافية في ذلك الوقت وفي طليعتهم **محمد بن الحسين المعروف بابن العميد**(ت٣٦٠هـ)[٢١]و**الصاحب بن عباد** (ت٣٨٤هـ)[٢٢]الذي أنشأ أكاديمية ضخمة في بغداد[٢٣]. والوزير البويهي **أبو نصر سابور بن أردشير**(ت٤١٦هـ)[٢٤]وزير بهاء الدولة، الذي اشترى داراً في جانب الكرخ وعمرها وبيضها وسماها **دار العلم** وجعلها وقفاً لأهل العلم، ونقل إليها كتباً كثيرة، كان جمعها واشتراها على حسابه الخاص ،وعمل لهذه المكتبة فهرساً بأسماء الكتب والمؤلفات الموجودة فيها لتسهيل عملية المطالعة والبحث كما عين بعض الأشخاص للنظر في أمور هذه الدار العلمية ومراعاتها والعناية بها وتوفير الأجواء والاحتياجات اللازمة لطلبة العلم والمعرفة الوافدين إليها[٢٥]. وفي عهدهم انتشرت ظاهرة المناظرات والجدل العلمي في المجالس، سيما في علم الكلام والعقائد والفقه وغيرها من ميادين الفكر والمعرفة الإسلامية.

في هذا العصر المضطرب سياسياً والمتوقد علمياً وثقافياً ولد الشريف المرتضى، ومثل انموذجاً حياً للعالم والفقيه والأديب والمفكر المعتدل. ولم يكن هذا الاعتدال والاتزان الفكري والعلمي متأت من فراغ، وإنما كان لأسرته النبيلة الشريفة النسب أثر كبير في بناء وصقل شخصيته الفكرية والعلمية فهو **أبو القاسم علي بن الشريف أبي أحمد الحسين نقيب الطالبيين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى بن جعفر**[٢٦]. وأمه وأم أخيه الرضي هي: **فاطمة بنت أبي محمد الحسن الناصر الصغير بن أبي الحسين أحمد بن محمد الناصر الكبير الأطروش بن علي بن الحسن بن علي الأصغر بن عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين**[٢٧].وقد لقب الشريف المرتضى بعدة ألقاب منها: **الشريف المرتضى، وذو المجدين وعلم الهدى**. وقد درس هو وأخوه الرضي عل أيدي كبار علماء عصرهم كالشيخ **المفيد**[٢٨]و**ابن نباته السعدي**(ت٤٠٥هـ)وهو على حد تعبير الثعالبي:"**من فحول شعراء العصر وآحادهم، وصدور مجيديهم، وافرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني..**"[٢٩].

وقد ورثت أسرة الشريف المرتضى الزعامة الدينية والسياسية للعلويين في القرن الرابع الهجري، وكان جده لأمه الناصر الكبير أو الأطروش(ت٣٠٤هـ)أحد أشهر الأمراء والدعاة العلويين في بلاد الديلم وطبرستان، وكان لمكانته وجلالة قدره أن أولاده هناك أصبحوا الامراء بطبرستان وجيلان وجرجان ومازندران وسائر ممالك الديلم، فملكوا تلك الأصقاع١٣٠ سنة، وضربوا الدنانير والدراهم بأسمائهم، وخطب لهم على المنابر، وحاربوا الملوك السامانية، وكسروا جيوشهم[٣٠]. أما أبوه الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى(٣٠٤-٤٠٠هـ)فهو الآخر قد جمع بين الزعامة الدينية والدنيوية، وكان يلقب **بالطاهر وذي المناقب والأوحد**، وخاطبه بهاء الدولة البويهي **بالطاهر الأوحد**، وولاه قضاء القضاة ولم يمكنه القادر العباسي من

ذلك، و تولى نقابة العلويين والحكم فيهم خمس مرات، كانت الأولى منها خلال المدة(٣٥٤-٣٦٠هـ) وتوفي وهو نقيب للعلويين للمرة الخامسة، كما تولى إمارة الحج[٣١]. وكان سيداً عظيماً مطاعاً، وكانت له هيبة أشد من هيبة الخلفاء[٣٢].وعندما ولي نقابة الطالبيين والنظر في المظالم وإمارة الحج عام (٣٨٠هـ)نُص في عهد البيعة الذي كتب له أن يخلفه بهذه المناصب ولداه الشريف المرتضى و الشريف الرضي[٣٣].

وبعد وفاة والده تولى هذه المهام والمناصب أخوه الشريف الرضي(٣٥٩-٤٠٦هـ)وهو الآخر كان له من الهيبة والفضل والشرف والرفعة ما تضيق هذه الصفحات عن الإحاطة به، وقد لقبه بهاء الدولة البويهي **بذي الحسبين**، وكان عالماً بالفقه والفرائض والشعر والأدب، حتى قال الثعالبي:"**إنه أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق..، ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق**"[٣٤]. وقد وصف بالعفة و التدين وسعة الكرم وعلو الهمة، وقد مدحه الشعراء المعاصرين له، وجرى له مع الخليفة القادر العباسي(٣٨١-٤٢٢هـ)خلاف بسبب اعترافه بالنسب العلوي للخلفاء الفاطميين في مصر، وعدم الاكتراث بنقمة القادر من ذلك، إذ كتب في ذلك:

أألبس الذل في ديار الأعادي وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا الناس جميعاً محمد وعلي

فغضب عليه القادر، وبعث رسله إلى والد الشريف الرضي يعاتبه في ذلك، ويطلب منه أن ينفي الشريف الرضي هذه الابيات عن نفسه بكتابة أبيات مناقضة لها تفند النسب العلوي للفاطميين، فرفض الشريف الرضي ذلك، وأنكر أن تكون هذه الأبيات من قوله[٣٥]. وكان عالي الهمة، إذ خاطب الخليفة القادر بالقول:

عطفاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني أنا عاطل منها وأنت مطوق[٣٦]

ثم انتقلت تلك المهام الإدارية والدينية للشريف المرتضى في يوم السبت(٣صفر/٤٠٦هـ)بعد وفاة أخيه الرضي، فتولى إمارة الحج والنظر في المظالم ونقابة الطالبيين، وجميع ما كان لأخيه الرضي، وجمع الناس لقراءة عهد توليته من قبل الخليفة القادر بحضور القادة والأشراف والقضاة والفقهاء والشخصيات المهمة في الدولة، وكان مما جاء فيه:" **هذا ما عاهد أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن موسى العلوي حين قربته إليه الأنساب الزكية، وقدمته لديه الأسباب القوية، واستظل معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختص عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلد الحج والنقابة..**"[٣٧].

ولا شك أن تولي الشريف المرتضى لهذه المناصب يدل على علو المكانة العلمية والاجتماعية التي كان يتمتع بها، وتميزه بما كان يمتلكه من قدرات ومواهب شخصية، **فولاية الحج** هي منصب سياسي وديني وإداري في الوقت نفسه، يتولى صاحبها مهمة إقامة الحج وتسييره ورعاية الحجيج وتوجيههم وحل مشاكلهم.

ولأهمية هذا المنصب فإنه يقتضي بمن يتولاه أن يكون بمنزلة الإمام الشرعي والزعيم المجتهد، وأن يكون مطاعاً ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية. وقد أطنب الماوردي (ت٤٥٠هـ)في أحكامه السلطانية ببيان أهمية هذا المنصب وصفات متوليه وما يقوم به[٣٨] .

أما **ولاية النظر في المظالم** فهي الأخرى بحسب الماوردي:" **تعني قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة، ومن شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الأمر، عظيم الهيبة، ظاهر العفة، قليل الطمع، كثير الورع، لأنه يحتج في نظره إلى سطوة الحماة وثبت القضاة..، وأن يكون بجلالة القدر نافذ الأمر في الجهتين. كالخلفاء أو من فوض إليه الخلفاء نظراً في الأمور العامة كالوزراء والأمراء**"[٣٩]. وأما **ولاية النقابة:**" **فموضوعة على صيانة ذوي الأحساب الشريفة عن ولاية من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في في الشرف؛ ليكون عليهم أحبى وأمره فيهم أمضى، وهي تصح من إحدى ثلاث جهات: إما من جهة الخليفة المستولي على كل الأمور، وإما ممن فوض الخليفة إليه تدبير الأمور، كوزير التفويض وأمير الإقليم..، فإذا أراد المولى أن يولي على الطالبيين نقيباً أو على العباسيين نقيباً، يتخير منهم أجلهم بيتاً، وأكثرهم فضلاً، وأجزلهم رأياً، فيولى عليهم، لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا إلى طاعته**"[٤٠].

إذن الشريف المرتضى قد استجمع كافة أسباب المجد والعلا والرفعة والتميز، فهو ينحدر من أشرف الأنساب واسرته من أشرف الأسر، وقد تربى في بيت علم وعلماء وثقافة وأدب وسياسة وإدارة، وتتلمذ على يد كبار علماء عصر وفقهاءهم وأدباءهم، ومنح منذ مراحل عمره المتقدمة، فرص الاحتكاك بالشخصيات العلمية والسياسية والأدبية والفكرية في أوساط المجتمع العراقي، فتوثقت علاقته بالخلفاء والأمراء البويهيين، ورجالات الأدب والفكر والوجهاء. حتى أنه كان من أوائل الشخصيات البارزة التي تحضر في المناسبات السياسية المهمة كمبايعة الخلفاء[٤١]، أو منح عهود التولية واستقبال الوفود السياسية[٤٢].

وبلغ من علو منزلته أن كانت داره مقراً يلجأ إليها الحاكم البويهي ووزراءه حين يثور عليهم الجند أو تضطرب بهم الأحوال[٤٣].هذا مضافاً لما كان عليه المرتضى من النعمة ويسر الحال وما كان عليه محيطه الأسري من اهتمام بالعلم والأدب والثقافة وما كان ينتظم في بيئته الاجتماعية من نشاط فكري وثقافي متواصل. إذ كان بحسب **ابن حجر العسقلاني**(ت٨٥٢هـ): **أول من جعل داره مقراً للعلم والمناظرة. وأنه حصل على رياسة الدنيا في العلم، وأنه كان لا يؤثر على العلم شيئا مع البلاغة وفصاحة اللهجة**[٤٤]. وكان له مجلس خاص يتردد عليه كثير من رجال العلم والفكر والثقافة والأدب، أمثال الشاعر الفيلسوف **أبو العلاء المعري**(ت٤٤٩هـ)، وإمام النحو واللغة **عثمان بن جني**(ت٣٩٣هـ)[٤٥]. كل هذه العوامل أسهمت وبشكل ملحوظ في صياغة الشخصية المعرفية والعلمية والأخلاقية للشريف المرتضى، والارتقاء بها وبمكانتها الاجتماعية، الأمر الذي أدى إلى أن ذاع صيته وشهرته بين الخاصة والعامة، ارتكازاً على تلك المقومات وما كان يتمتع به من اريحية الخلق وسعة الأفق ورجاحة العقل، والقدرة الفائقة على الانسجام

والتصالح مع فئات المجتمع بمختلف أصوله وطوائفه وانتماءاته، فأصبح محل التبجيل والاحترام عند موافقيه ومعارضيه في العقيدة والرأي على حد سواء[٤٦]. ولذلك كان الشريف المرتضى مثال ونموذج الاعتدال في عصر الاختلاف.

المحور الثاني: الفتن ودور الشريف المرتضى في وأدها:

سيتناول البحث في هذا المحور نقطتين أساسيتين، الأولى تبين واقع التصادم و الانقسام المذهبي وحدوث الفتن وأسبابها، والثانية تسلط الضوء على دور الشريف المرتضى في وأد تلك الفتن والتعامل معها وفق مستوى عالٍ جداً من الاعتدال والتهدئة، مع بيان أنه في هذا الموقف كان يصدر من تمكن المقتدر أو المؤثر على أقل تقدير، لا من موقع الضعف وعدم القدرة على إحداث التغيير:

اولاً- الفتن – احصاء ونظرة في الأسباب:

مع ما سلفت الإشارة إليه من اضطراب للوضع السياسي في العراق وضعف مؤسسة الخلافة وانتقاض سلطانها، كان لابد للاضطرابات والفتن أن تتنازعها عوامل وأسباب عدة، تتباين وتمتزج بين السياسي والاجتماعي والديني ، وهو ما سنحاول إيجازه عبر رصد هذه الفتن وأسبابها المباشرة وغير المباشرة كواقع لتداخل تلك الأسباب.

وبداية لابد من الإشارة إلى أننا في رصدنا ومتابعتنا لتلك الفتن، سواء ما سنشير إليه في البحث أو ما سنتجاوزه، بحسب ما قدمناه من ضابطة زمانية لما سنشير إليه منها أي ما حدث منذ عام(٤٠٦هـ)فصاعداً، وجدناها تهاجم منطقة **الكرخ** وهي منطقة سكن الشريف المرتضى وعموم أتباعه في بغداد. وكان مفتعلوا تلك الفتن مرة تلو الأخرى يحاولون استغلال أي اضطراب أمني أو هياج مجتمعي وسياسي للهجوم على أتباع الشريف المرتضى في الكرخ، وهو ما يدل على أن المتشددين – سيما الحنابلة منهم- هم من كانوا يفتعلون تلك الفتن ويهاجمون أتباع أهل البيت (ع) في مناطق سكناهم. وقد رسم لنا المستشرق الألماني(*Adam Mes*=**آدم مِتز.ت ١٩١٧م**)خارطة ديموغرافية لسكان بغداد في القرن الرابع الهجري فقال: **كان الشيعة يسكنون بنوع خاص حول سوق الكرخ في الجانب الشرقي من دجلة. في حين كان السُّنة وأنصار السلطة العباسية، سيما الحنابلة المتشددون منهم وكانوا من أشد أعداء الشيعة يسكنون في الجانب الغربي منها سيما حول باب البصرة. وكان الجانب الغربي من دجلة مركزاً لتجمع السُّنة عموماً.** ونقل عن **ياقوت الحموي أن أهل محلة باب البصرة كلهم سنة حنابلة، وعن يسار الكرخ وفي جنوبها كانت مأهولة بالسكان السنة. أما الكرخ نفسها فأهلها كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سُني البتة. وكان باب الشعير غربي شاطئ دجلة من أكبر مراكز أهل السنة**[٤٧]. ومن أبرز الأمثلة على ذلك فتنة عام(٣٦١هـ)[٤٨]،وفتنة عام(٣٦٣هـ)[٤٩]وفتنة عام(٣٨١هـ)[٥٠]،وفتنة عام (٣٩٨هـ)[٥١]. وفيما يلي رصدٌ

لأبرز الفتن التي حدثت بحسب الضابطة الزمنية التي اعتمدها البحث، وبيان دور الشريف المرتضى في وأدها:

١/ في سنة(٤٠٦هـ)ابان عهد الخليفة القادر(٣٨١-٤٢٢هـ)وسلطنة أبو شجاع سلطان الدولة بن بهاء الدولة (٤٠٣-٤١٥هـ)، وهي السنة التي تولى بها الشريف المرتضى مهام منصب نقابة العلويين والحج والمظالم بعد موت أخيه الشريف الرضي **وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ وأهل باب الشعير، وانتشر النهب فتدخل الوزير فخر الملك والشريف المرتضى، بتسكين الفتنة بأن منعوا أهل الكرخ من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق السواد**[٥٢].

٢/ عام(٤٠٨هـ)في عهد الخليفة القادر وسلطنة ابو شجاع **تفاقمت الفتنة بين سكان بغداد في بغداد، وقتل عدد كبير من الطرفين، وأحرقت الدكاكين.** ..... وقد بعث الخليفة العباسي **حاجبه وصاحب شرطته أبو مقاتل مع الشرطة، ليدخل الكرخ فمنعه أهلها والعيارون الذين فيها وقاتلوه، فأحرق الدكاكين والمحلات على أطراف نهر الدجاج حتى صارت تلولا، ولم يتهيأ له الدخول**[٥٣].

٣/عام(٤١٥هـ)في عهد الخليفة القادر وسلطنة ابو شجاع **وقعت فتنة بالكوفة بين العلويين و العباسيين قتل فيها ستة من العباسيين، بسبب النزاع بين أبي علي المختار بن عبيد الله العلوي وأبي الحسن علي بن أبي طالب بن عمر، على منصب نقيب العلويين في الكوفة، وتغلب الأخير عليه. فأمر الخليفة الشريف المرتضى بصرف ابن أبي طالب عن نقابة الكوفة وردها إلى المختار**[٥٤].

٤/**عام(٤٢٠هـ)في عهد الخليفة القادر وسلطنة أبو كاليجار البويهي بن سلطان الدولة (٤٠٧ - ٤٤٠هـ). حدثت فتنة في جامع براثا، إذ كتب الخليفة القادر بالله كتاباً طويلاً جداً، فيه ذكر أبي بكر وعمر وفضلهما، وقرأ على القضاة والفقهاء والوعاظ وغيرهم في دار الخلافة. وكان ذلك في يوم الخميس(٢٠/شعبان)،ثم أمر الخليفة في يوم الجمعة باستبدال الخطيب الذي يخطب بجامع براثا، وعلى آثر ذلك حدثت مشاكل بين الخطيب الجديد والمصلين، وأوقفت إقامة صلاة الجمعة في مسجد براثا حتى شهر ذي الحجة، فذهب الشريف المرتضى مع مجموعة من كبار أتباع أهل البيت (ع) ومشايخهم في الكرخ إلى دار الخلافة، وطلبوا منه إعادة الصلاة والخطبة في مسجد براثا، فعين الخليفة خطيباً آخر للمسجد، على أن يلتزم بالخطبة التي تعينها وتكتبها له دار الخلافة، فأعيدت الصلاة في مسجد براثا في الجمعة الثانية من شهر ذي الحجة. أي بعد توقف امتد لما يقرب من أربعة أشهر**[٥٥].

٥/عام(٤٢١هـ). **في ليلة عاشوراء أغلق أهل الكرخ أسواقهم، وعلقوا السواد على دكاكينهم كعادتهم في شعائر يوم عاشوراء، فاعترض على ذلك بعض أهالي بغداد ووقع القتال بينهم، وقتل بعض**

الأشخاص من الفريقين وخربت بعض الدكاكين، فتدخل الشريف المرتضى وحال دون تواصل تلك الفتنة وامتدادها[٥٦]. وفي هذه السنة أيضاً حدثت منازعة بين أحد الاتراك النازلين بباب البصرة في بغداد وبعض الهاشميين، فاجتمع الهاشميون في جامع المدينة ورفعوا المصاحف، واجتمع عدد كبير من أتباعهم في الكرخ وغيرها، وضجوا بالاستغفار من الأتراك وسبهم، فركب جماعة من الأتراك وجاءوا نحوهم، فلما رأوهم يرفعون المصاحف رفع الأتراك الصليب وترامى الفريقان بالنشاب والحجارة، فقتل عدد من الأشخاص ثم أصلح بينهم[٥٧].

٦/عام(٤٢٢هـ)**في يوم الجمعة تجددت الفتنة بين سكان بغداد واشتدت بشكل كبير؛ بسبب استفزاز أحد القادة وجنوده لأهل الكرخ عندما مر بهم وهو يريد التوجه إلى الغزو، فوقعت الفتنة بينهم وبين أهل الكرخ ومنعت الصلاة في مسجد براثا، ونُقبت دار الشريف المرتضى فخرج منها منزعجاً مرتاعاً، فجاء جيرانه الأتراك ودافعوا عنه، ونهبت الدور في الكرخ سيما دور اليهود الذين اتهموا بمساعدة أتباع أهل البيت(ع). وفي اليوم الثاني تجمع بعض أهالي بغداد ، وانضم معهم الأتراك وتوجهوا نحو الكرخ فأحرقوا الدور والأسواق وهدموها، وأصاب أهل الكرخ ضرر كبير وقتل عدد من الأشخاص. وبعد مرور شهر واحد على هذه الحادثة هجم جماعة على مسجد براثا ونهبوا ما فيه من المفروشات والسجاد، وقلعوا شباكه الحديدي فعادت الفتنة من جديد**[٥٨]. وفي أول شهر ذي الحجة من هذا العام اشتعلت فتنة أخرى بين أهالي بغداد وحدث قتل شديد على القنطرتين العتيقة والجديدة في بغداد. وكان سبب هذه الفتنة هو اعترض جماعة من أهل بغداد المقيمين في باب البصرة لجماعة من الزوار القادمين من مدينة قم لزيارة المراقد في بغداد والنجف وكربلاء، وقتلوا منهم ثلاثة أشخاص وجرحوا آخرين، فاشتعلت الفتنة ومنعت على أثر ذلك زيارة مشهد الإمامين الكاظمين[٥٩].

ثانياً- دور الشريف المرتضى في وأد الفتن:

تبين المصادر التاريخية أن كل الفتن التي مر البحث على ذكرها، والتي هوجمت فيها منطقة الكرخ ، كان الابتداء بالفتنة أو اشعالها من قبل المتشددين سيما الحنابلة، وغالباً ما كانت الأسباب تتمحور حول معارضتهم لإقامة شعائر العزاء في يوم عاشوراء أو الاحتفال بعيد الغدير أو إحدى المناسبات الدينية الأخرى، أو بسبب استفزاز لأتباع أهل البيت(ع) عبر خطباء المساجد أو من خلال المرور بمناطق سكناهم ورفع الشعارات ضدهم أو القيام بسلوكيات استفزازية أخرى. ولعل خير دليل على ذلك أن مسجد براثا هدم وسوي بالأرض عام (٣١٣هـ) بأمر من الخليفة العباسي، بحجة أن المصلين يجتمعون فيه ويسبون الصحابة، وبقي المسجد مهدوماً لمدلة(١٥سنة)حتى بناه القائد وأمير الأمراء توزون التركي عام(٣٢٨هـ)وأفتتح للصلاة عام(٣٢٩هـ)ولكن بعد تحويل ملكيته. بل أكثر من ذلك، فحتى قبور الأئمة(ع)قد

هدمت وسويت بالأرض، بسبب التطرف الطائفي والتعصب المذهبي والحقد الأعمى للحكام وفقهاء التطرف والتعصب، وخير مثال على ذلك قبر الإمام الحسين(ع)الذي هدمه المتوكل العباسي عام(٢٣٦هـ). وبقي مهدوماً حتى بناه عضد الدولة البويهي[٦٠]. وكان المتشددون سيما الحنابلة منهم ينظرون إلى ما يتمتع به أتباع أهل البيت(ع) من حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر في ظل السلطة البويهية على أنه بدع في الدين، وكفر وزندقة وإلحاد يجب القضاء عليه، فكانوا يدبرون تلك الفتن، ويختلقون الأعذار الواهية لإشعالها، مستندين في ذلك لدعم زعمائهم المتشددين، والأطراف الأخرى التي يستعينون بها كجند الخلافة وحرسها من الأتراك. وبالمقابل كان أتباع أهل البيت(ع) وفي مقدمتهم الشيخ المفيد والشريف المرتضى عامل تهدئة وتطويق وإخماد لتلك الفتن المذهبية، وتعامل باتزان تام مع الأطراف المعتدية بالرغم من سوء فعلها، وهو ما يمكن أن نسجله في النقاط التالية:

١/في الفتنة التي حدثت عام(٤٠٦هـ) وهي السنة التي تولى بها **الشريف المرتضى** مهام نقابة العلويين والحج والمظالم، بين أهل الكرخ من أتباع أهل البيت(ع) وأهل باب الشعير ، وانتشر النهب والسلب والتخريب، بعث الوزير **فخر الملك أبو غالب الشريف المرتضى** وجماعة معه، فحال دون استفحال تلك الفتنة وتطورها، **بأن أوعز لأهل الكرخ وأمرهم أن لا يعلقوا السواد ولا يقيموا مآتم العزاء في ذلك اليوم**[٦١].

وهذه الخطوة بحد ذاتها دليل واضح على التعامل المعتدل، الذي يميل فيه **الشريف المرتضى** مع ما له من المنزلة عند السكان في عموم العراق[٦٢]سيما وأنه نقيب الطالبيين حينها، وله ما له من الرفعة والمكانة والقدرة على تحريك أتباع أهل البيت(ع) ، الذين تحملوا مصادرة حقوقهم، في ظل السلطة التي يفترض أنها أقرب إليهم في توجهاتها المذهبية. مع كل ذلك، ومع المقدرة على مواصلة إقامة تلك الشعائر والفعاليات، وحتى فرضها بالقوة، نجد **الشريف المرتضى**، يدعوا أتباع أهل البيت(ع) لعدم ممارسة تلك الشعائر تسكيناً للفتن والاضطرابات، وللحيلولة دون توسعها وامتدادها.

٢/ في فتنة عام(٤٠٨هـ)التي تدخل بها **رئيس شرطة الخلافة المقدام أبو مقاتل** ، وهاجم أتباع أهل البيت(ع) في الكرخ وأحرق الدكاكين وخرب الممتلكات[٦٣]. لاشك كان بإمكان **الشريف المرتضى** تغيير شيء من الواقع من خلال علاقته بالسلطة البويهية أو الدعوة للتمرد أو الثورة أو طلب مساعدة الخلافة الفاطمية، ولكنه آثرا عدم التعامل مع الآخرين بنفس الطريقة المتطرفة التي يتعاملون بها، وأن يتعامل بروحية التسامح حفاظاً على عدم تشتت المسلمين وتناحرهم بأكثر مما كان واقعهم حينها.

٣/ في الفتنة التي حدثت عام(٤٢٠هـ)بسبب تدخل الخليفة بفرض الخطيب الذي يتولى الخطابة والوعظ في جامع براثا. واستدعى **الشريف المرتضى** ومعه جماعة واتهمهم **بأن مسجد براثا يجمع الكفرة والزنادقة ومن قد تبرأ الله منه..**، وأوقف الصلاة فيه لمدة أربعة شهور[٦٤]. وايضاً كان بإمكان **الشريف المرتضى** استغلال ما توفر له من أسباب علو الشأن والرفعة والقرب من الأمراء البويهيين في الإيقاع بالخصوم أو

الانتقام والانتصار عليهم. أو على أقل تقدير كان بإمكانه الرد بالمثل، ودعوة أتباعه لتصعيد التمرد والثورة، وإصدار توجيهات لاسترداد حقوقهم بأي وسيلة كانت وبأي شكل من الأشكال.

٤/في الفتنة التي حدثت في السنة اللاحقة عام(٤٢١هـ) كان **الشريف المرتضى** حاضراً لنزع فتيل الأزمة بين اهالي بغداد في ليلة عاشوراء على أثر اعتراض بعض السكان على إقامة مراسم العزاء في محرم ، فتدخل واحتوى تلك الفتنة وحال دون امتدادها[٦٥].

٥/في الفتنة التي وقعت في العام اللاحق(٤٢٢هـ)بسبب استفزاز أحد القادة وجنوده لأهل الكرخ وما حدث في الكرخ على اثرها، وكيف كانت تلك الأفعال تحظى بمساندة الجند الأتراك بنحو ما مرت الإشارة له[٦٦]. وكما هو تصرفه في ما سبق من الفتن لم يحاول الشيخ المرتضى تصعيد الموقف، ومثلما لم يكن يحاول رد الإساءة بمثلها فيما سبق من فتن فإنه لم يعر اهتماماً يذكر لهجوم مفتعلي هذه الفتنة على داره ومهاجمته مع عائلته ، ومن ثم نهب وحرق دور أتباعه في الكرخ ومحالهم في الأسواق وقتل عدد منهم[٦٧].

إذن في الوقت الذي نجد الخلافة العباسية ساكتة دون حراك أمام التجاوزات التي يقوم بها المتشددين، بمساعدة الأتراك[٦٨]، ويصل بهم الأمر إلى مهاجمة دار **الشريف المرتضى** نفسه وترويع عائلته وإحراق بعض ممتلكاته، لا نجده يلجأ لتحريض أتباعه أو الإسهام في هذه الفتنة، أو اللجوء للسلطة البويهية اعتماداً على التقارب المذهبي، على الرغم من انزعاجه الشديد من تلك الفتنة وتأثره بما نجم عنها، وهو ما دفع جيرانه من الأتراك للدفاع عنه، وربما اشترك معهم بعض اليهود، فكان أن شملهم هجوم المتشددين، فأحرقوا ممتلكاتهم. ولو لم ير أولئك الأتراك واليهود مقدار الظلم والحيف الذي وقع على **الشريف المرتضى**، ولو لم يرو منه من طيب الخلق والمعاشرة الحسنة لما تطوعوا للدفاع عنه.

وهنا لابد من الالتفات أنه في كل هذه الفتن، لم يكن الشريف المرتضى يتصرف بهذا الشكل من منطلق موقف الضعف!، وإلا فهو يملك ما يملك من الهيبة ونفوذ الكلمة في الأوساط السياسية والشعبية حينها ولذا كان يطلب منه التدخل لإخماد تلك الفتن. ولعل مما يشير إلى ما كان يتمتع به مكانة سياسية أنه كان يُدعى من قبل الخليفة أو من قبل الحاكم البويهي لحضور المناسبات السياسية الهامة كالبيعة لخليفة جديد أو لتولية حاكم أو والي معين أو لاستقبال وفد سياسي على مستو عال أو للتشاور في بعض القضايا السياسية والاجتماعية، وكان هذا الحضور مما يعتد به[٦٩]. وكان من علو شأنه ونفوذه واحترامه أن كانت داره حرماً يلجأ إليها الحاكم البويهي ووزراءه عندما يثور عليهم الجند أو يقعون في فتنة مع رعاياهم[٧٠]. وهذا ما يدل على سعة النفوذ والهيبة والاحترام المهيمن في جميع الأوساط. وكان الملك بهاء الدولة البويهي أصدر كتاباً رسمياً بتلقيبه **بذي المجدين** اعترافاً منه بما كان للشريف المرتضى من مكانة مميزة ومقام كبير وهيبة في النفوس[٧١].

وقد أبان الشريف المرتضى في عدد من قصائده ما كان يحظى به من منزلة ووجاهة بين كبار المسؤولين في الدولة ورجال السياسة في عصره، وما كان له من سداد الرأي ونفاذ الكلمة، ودور في القضايا السياسية الكبيرة. ومنها القصيدة التي بين فيها التجاء السلطة له لتهدئة ثورة حدثت في البصرة آنذاك، وكان قال فيها:

ومُقامي من الخلائفِ في يـو ... م اجتماع الوفود خيرُ مقامِ
ما لغيري مثل الذي لي منهم ... من صنوف الإعظام والإكرامِ
لم يزالوا ولن يزالوا مُشيديـ ... ـن محلّي ومُجْزِلي أقسامي
ومهيبين بي وقد عنت الشّو ... رى إلى الرأي في الأمور الجسامِ
وإذا ما حكمتُ في الأمر سدّوا ... طُرُقاتِ الخروج عن أحكامي
وتخصصت بالملوك يلبو ... ن نِدائي ويسمعون كلامي
وإذا ما ذممتُ يوما عليهم ... في عظيم أمضوا هناك ذمامي
ومتى أعْضلت خُطوبٌ صِعابٌ ... أو وَهى للملوك سِلْكُ نظامِ
جعلوني دليلهم في ضلال ... مُوقَدٍ أو صباحَهمْ في ظلامِ
قد رأوا يوم هيجوا ملك البصـ ... ـرة كَفّي له عن الإقدامِ
بعد أن أزمع اللقاءُ وأهوى ... لاقتناصِ الطُّلى هَوِيَّ القَطامي
وتراءَت للناسِ شَنعاءُ صَما ... ءُ تجوبُ الدُّجى بغير خِطامِ
قلدوني إصلاحها ورموا بي ... طلبَ السلم في صعابِ المرامي
فتلافَيتُ دَرْأَها باعتدالي ... ودعمْتُ اعوجاجَها بدِعامي
وأَعَدْتُ الصَّفاءَ من بعدِ أنْ كا ... نَ مَسوقّاً من قبضةِ المُستامِ[٧٢].

وقال في ذات اللحاظ في موضع آخر:

من ذا يعاليني وقد ... ساندني الصخر الأصم
سقياً لفخر الملك من ... مغتفر ومنتقم
ومن أطاعت أمره ... عرب الفيافي والعجم[٧٣].

وهذه الأبيات ومثيلاتها لا تعلن فقط عن اعتزاز المرتضى بنفسه وافتخاره بنسبه، وبما رأى أنه متصف به من أصالة الرأي والهيبة والعزة وجلالة الشأن ونفاذ الكلمة في الوسط السياسي والاجتماعي، إنما تعبر أيضاً عما كان يراه في نفسه من أفضلية في سياسة البلاد وإدارة الدولة على من تولى شؤونها آنذاك. وهذا الاعتقاد بالتأكيد لا ينطلق من غرور أو ادعاء فارغ ودعوى باطلة، بل ينطلق من الحيثيات الواقعية لمكانته ودوره في تلافي كثير من الاشكالات والمعضلات السياسية فضلاً عن الفتن المذهبية مارة الذكر، ولذا كان دائماً ما يركز ويؤكد على أن الملوك و ومتولي إدارة شؤون الدولة كانوا إذا ما ألمت بهم الخطوب

واظلمت الدنيا في أعينهم لجأوا إليه، ليكون هو المسدد والمقوم لسياستهم، والمساهم في حفظ النظام وتهدئة الواقع المجتمعي المضطرب والثائر(٧٤). وإذا ما وضعنا هذه الإمكانية والحظوة السياسية والشعبية والقدرة على تحريك أو تهدئة المجتمع قبالة الفتن والاعتداءات المارة الذكر يتضح لنا المستوى العالي من الاتزان والتحلي بضبط النفس وكظم الغيظ عند الشريف المرتضى، وما مثله من دور بارز في تطويق تلك الفتن المذهبية والحد من آثارها وامتداداتها، فكان بحق انموذجاً للاعتدال في عصر الاختلاف.

المحور الثالث: الاعتدال في تراث الشريف المرتضى:

ترك الشريف المرتضى تراثاً أدبياً وفكرياً حافلاً، يشهد على ما كانت تتميز به تلك الشخصية من اعتدال مع خصومه، حتى في الوقت الذي لم يلتزم به أولئك الخصوم بمراعاة قواعد الانصاف في العلاقة والتعامل معه، بل وحتى في الوقت الذي يساء فيه إليه!. ففي الوقت الذي صرح به بعدم شرعية الخلافة والسلطة العباسية القائمة، إلا أنه راعى التعامل بالحسنى، والتعايش والتعامل الودي والسلمي الذي كان يفرضه الواقع السياسي والاجتماعي، وهو عندما كان يمدح الخليفة الفلاني أو الوزير الفلاني المختلف معه مذهبياً وعقائدياً فليس ذلك من باب الخضوع أو التملق لهذا الشخص أو ذاك وإنما هو من باب رد التحية بأحسن منها ومن باب التجاوب الودي والصادق مع الآخرين. وإلا فهو لم يداهن أو يتجنب التصريح بمتبنياته الفكرية والعقائدية، ومن أمثلة ذلك ما نجده في قصيدته التي نضمها بمناسبة عيد الغدير ومنها قوله:

و طارت بما نلناه أجنحة الورى ... وسارت به في الخافقين الركائبُ
وقال أناس هالهم ما رأوا لنا ... ألا هكذا تأتي الرجال المواهبُ
ظفرتم بما لم نحظ منه بنهلة ... ولذت لكأم دون الأنام المشاربُ
فلما مضى من كان أمّرنا لكم ... أَتتنا كما شاء العَقوقُ العجائبُ
فقل لأُناس فاخرونا ضلالةً ... وهم غرباءٌ من فخارٍ أجانبُ
متى كنتم أمثالنا ومتى استوت ... بنا وبكم في يوم فخرٍ مراتبُ
فلا تذكروا قربى الرسول لتدفعوا ... مُنازعكم يوماً فنحن الأقاربُ
ولو أَنَّنا لم نُنْهَ عنكُم أَتَتكُمُ ... سِراعاً بنا مقانبٌ وكتائبُ
فإن دُوَلٌ منكُم مشينَ تَبختُراً ... زماناً فقد تمشَّى الطُّلاَحُ اللواغِبُ(٧٥)
فلا تأمنوا من نام عنكم ضرورةً ... فمُقْعٍ إلى أن يُمكنَ الوثبَ واثبُ(٧٦).

إذن الشريف المرتضى يبين بوضوح تام، حراجة وخصوصية الواقع السياسي الذي كان يعيشه، وهو مع ذلك يخاطب العباسيين بهذه النبرة التي تدل على توجع المقتدر وكاظم الغيظ، على التجاوز الذي جرى عليه

وعلى أهل بيته، وسلبهم حقهم بالخلافة والسلطة التي لابد ستسترد في يوم من الأيام، ويعود الحق إلى أهله ونصابه. وهكذا هي جل قصائده التي تنضم في مناسبات مراثي أهل البيت أو الاحتفال بمناسباتهم.

ويتضح في تراث الشريف المرتضى دعوته لإعمال الفكر والعقل في تحصيل المعرفة، وترحيبه بالمنافسة والتحاور العلمي الهادف والانفتاح الفكري والثقافي الحر، وصولاً لتقليص مسافات الاختلافات العقائدية المؤدية للعداء وقطع التواصل بين المذاهب الإسلامية، وعلى الرغم من الخلافات العارضة حول المسائل الإجتهادية وما ينشأ حولها من نقاش أو جدل. وقد تجلت هذه الروحية المتزنة في الطرح، وسعة الصدر، ورحابة الفكر، ونبذ روح التعصب والعداء لأي طائف من الطوائف الإسلامية– مادام هناك اتفاق على الأصول– في رسائله المليئة بالردود والمناقشات الهادئة والهادفة في المواضيع الفقهية والعقائدية المطروحة، إذ كان يعالج الأمور بتعقل واتزان واضح، وموضوعية وتجرد كبير، وسلوك يغلب فيه العقل على العاطفة والانفعال في محاورة الخصم ومحاورة الطرف الآخر، وهذا يرجع بدرجة كبيرة إلى الانفتاح على هذا الآخر ومحاورته محاورة الصديق لا الخصم(٧٧).

وهو في رسائله تلك عادة ما يبدأ باستعراض اقوال الآخرين وأدلتهم ثم يناقشها، ويبين مفاصل الضعف فيها ومن ثم يدلي برأيه في المسألة دون تجريح للآخر أو طعن فيه أو تحامل عليه، فمثلاً نجده في معرض الحديث عن ظاهرة الخلاف والاختلاف بين أبناء المذاهب الإسلامية، يحدد الخطوط العريضة لاعتقاده ولمنهجه في المناقشة والرد بالقول:" **إن الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا والقرآن إمامنا والكعبة قبلتنا والمسلمون إخواننا، والعترة الطاهرة من آل رسول الله(ص) وصحابته والتابعين لهم بإحسان سلفنا وقادتنا، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا وأولياؤنا، نحب من أحب الله، ونبغض من أبغض الله، ونوالي من والى الله، ونعادي من عادى الله، ونقول فيما اختلف فيه أهل القبلة بأصول نشرحها ونبينها**"(٧٨). وقال في مقدمة كتابه **تنزيه الأنبياء**، الذي يناقش موضوعة كلامية عقائدية مهمة، تعد محل خلاف كبير بين مذهب أتباع أهل البيت(ع) والمعتزلة وباقي المذاهب الاخرى، أنه يبدأ" **بذكر الخلاف في هذا الباب، ثم بالدلالة على المذهب الصحيح من جملة ما يذكره من المذاهب، ثم بتأويل ما تعلق به المخالف من الآيات والأخبار التي اشتبه عليه وجهها، وظن أنها تقتضي وقوع كبيرة أو صغيرة من الأنبياء والأئمة**"(٧٩).أي أنه وفي أعقد المسائل وأهمها كان يناقش بهدوء تام، دون التجاوز على الآخر المختلف أو الطعن به أو تجريحه، صادراً بذلك عن المنهج العلمي الذي يُعمل أدوات العقل الحوار الجادة والأدلة العقلية المنطقية والفكر الحر الخالي من العقد والتراكمات. وهو ما دفع البعض للقول بأنه كان يتبنى مذهب الاعتزال أو أنه كان متأثراً بطريقة ومنهج المعتزلة في المحاورة والنقاش. وحقيقة الحال أنه في كتبه ورسائله يعارضهم معارضة علمية وفكرية صريحة، ويخالف مبانيهم الفقهية والعقائدية بشكل واضح(٨٠).

يمكن أن نلمس تلك الروح المعتدلة والهادئة في الطرح الفكري من خلال ردوده على زعيم المعتزلة الأبرز القاضي **عبد الجبار الأسدآبادي**(ت٤١٥هـ)(٨١)في كتابه(**الشافي في الإمامة**) مقابل التشدد الواضح

في طرح القاضي على الرغم من أنه من المعتزلة المعروفين بإعمال المنهج العقلي في الاستدلال والطرح. وكان القاضي **عبد الجبار** قال في كتابه(**المغني في أبواب العدل والتوحيد**) في الجزء المخصص لمناقشة موضوعة **الإمامة** ما نصه:"**إعلم إن من غلا في الإمامة رجلان: أحدهما جعل لها حكم الإله وهم الغلاة، وفيهم المفوضة الذين قالوا في الأئمة إنهم يخلقون ويثيبون ويرزقون ويعاقبون، وإنه فوض إليهم هذه الأمور التي إذا قاموا بها شاركوا القديم تعالى في أسمائه وما يستحقه من عباده. وقال بعضهم: بل هم الإله، لأنه يظهر بهم ويحتجب فيهم، وربما شاركوا النصارى في لفظ الاتحاد، وفي علتهم وطريقتهم. وفيهم من يعم بذلك كل الأئمة، وفيهم من يخص البعض، وفيهم من يسوي بينهم وبين الأنبياء، وفيهم من يخص، وفيهم من يتعدى الانتقال، من يجعله بابا للإمام وفيهم من لا يتعدى ذلك. وجملة أمرهم أنهم لما غلوا بالإمامة، وانتهوا بها إلى ما ليس لها من العدد، ذهبوا من الخطأ كل مذهب، ومن هذه الفرق نتجت الثنوية في جملة من أظهر الملة، وأصحاب التناسخ والباطنية لأنهم جعلوا الإمام باطناً وظاهراً، جعلوه طريقة في القرآن وغيره. وأهل الإباحة من الخرمية وغيرهم يدخلون في هذه الفرقة. والأصل فيهم الإلحاد لكنهم يستترون بهذه المذاهب...،فأما الثاني من الغلاة في هذا الباب، فإنهم نزلوا على هذه الطريقة، لكنهم انتهوا بالإمام إلى صفة النبوة، وربما زادوا ونقصوا، وهم الذين يوجبون الحاجة إلى الأئمة، من حيث لا يتم التكليف ولا حال المكلفين إلا بهم**[٨٢].

فكان رد الشريف المرتضى في كتابه(**الشافي في الإمامة**)أن قال إن هذا:"**سباب وتشنيع على المذهب بما لا يرتضيه أهله من قول الشذاذ منهم، ومن أراد أن يقابل هذه الطريقة المذمومة بمثلها، واستحسن ذلك لنفسه فلينظر في كتب ابن الراوندي**[٨٣]**في فضائح المعتزلة، فإنه يشرف منها على ما يجد به على الخصوم فضلا كثيرا لو أمسكوا معه عن تعيير خصومهم لكان أستر لهم، وأعود عليهم، وقل ما يسلك هذه الطريقة ذو الفضل والتحصيل**"[٨٤].والمرتضى هنا لا يلتزم الدفاع عن غلاة أتباع أهل البيت(ع)، وإنما يرفض من القاضي **عبد الجبار** طريقته المذمومة في الحكم، و يطالبه بأن يبتعد عن السباب والتشنيع والتعميم في الوصف، لأنها طريقة لا يسلكها ذو الفضل والتحصيل. فلو اتبعت هذه الطريقة المذمومة في الاحتجاج والتجريح في الاستدلال، لوجد في مذهب المعتزلة من الفضائح والأخطاء ما يُسكت القاضي ويرد عليه الحجج بحجج أقوى وأكثر منها[٨٥]. ومن الجدير بالذكر هنا، أن الشريف المرتضى كانت له علاقة مع القاضي **عبد الجبار** المعتزلي[٨٦]. وبسبب ذلك وبسبب منهجه العقلي في المناقشة والاستدلال ادعى البعض أنه من المعتزلة[٨٧].

ويلحظ ذلك الاعتدال في كتابه **الإنتصار**، الذي يبدو أنه حاول فيه مد الجسور والتقريب بين المذاهب الإسلامية،من خلال نفي التهم الموجهة لمذهب أتباع أهل البيت(ع)، والشبهات والتشنيع عليه من قبل الجهلاء والمتجاهلين، عبر الإقناع والتحرك في محيط المسلمات والمتبنيات المتشابهة بين المذاهب الإسلامية المختلفة، فنجده ينص على أنه سيبين في هذا الكتاب:" **المسائل الفقهية التي شُنع بها على**

مذهب أتباع أهل البيت(ع) ، وادعي عليهم مخالفة الإجماع، وأكثرها موافق فيه غيرهم من العلماء والفقهاء المتقدمين أو المتأخرين وما ليس لهم فيه موافق من غيرهم فعليه من الأدلة الواضحة والحجج اللائحة ما يغني عن وفاق الموافق، ولا يوحش معه خلاف المخالف"(٨٨).

ونص على اعتماده على الحجة والبرهان والدليل المقنع، وعدم الالتفات إلى الأقاويل والأهواء والعصبيات، والكلام غير المستند للأدلة المقنعة والحجج الراجحة فقال:" **أن الشناعة إنما تجب في المذهب الذي لا دليل عليه يعضده ولاحجة لقائله فيه؛ فإن الباطل هو العاري من الحجج و البينات، البري من الدلالات، فأما ما عليه دليل يعضده وحجة تعمده فهو الحق اليقين، ولا يضره الخلاف فيه، وقلة عدد القائل به، كما لا ينفع في الأول الاتفاق عليه، وكثرة عدد الذاهب إليه، وإنما يسأل الذاهب إلى مذهب عن دلالته على صحته، وحجته القائدة له إليه، لا عمن يوافقه فيه أو يخالفه**"(٨٩).

وهكذا هو **الشريف المرتضى** تجده في جميع جنبات تراثه الفكري، معتدلاً في طروحاته، متزناً في آرائه، لا ينتقص من طروحات الغير وآرائهم، بل يوردها ويناقشها، ويبين اتفاقه معها في بعض الحالات، ومخالفته لها في حالات أخرى، اعتماداً على تبيان الحجج والأدلة التي تشير لتوهم أو اشتباه الآخرين في هذه الآراء والطروحات. ولم يقتصر حضور هذا التعامل على تراثه العقائدي أو الديني، وإنما شمل أيضاً تراثه الأدبي سيما في كتبه: **شرح القصيدة المذهبة** و**الشهاب في الشيب والشباب وطيف الخيال**(٩٠).

ونتيجة لهذا الاتزان والاعتدال والروح العلمية المتوقدة والموضوعية، نجد عدداً كبيراً من الأدباء والعلماء المعاصرين واللاحقين للشريف المرتضى يذكرونه بأجل عبارات المدح والإطراء، إذ قال فيه **الثعالبي**(ت٤٢٩هـ):"**أنه أبدع أبناء الزمان، وأنجب سادة العراق، يتحلى مع محتده الشريف، ومفخره المنيف، بأدب ظاهر وفضل باهر، وحظ من جميع المحاسن وافر. ثم هو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين، ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق**"(٩١). وقال **ابن أبي الطيب الباخرزي**(ت٤٦٧هـ):"**هو وأخوه في دوح السيادة ثمران، وفي فلك الرياسة قمران، وأدب الرضي إذا قرن بعلم المرتضى، كان كالفرند(الذهب)في متن الصارم المنتضى**"(٩٢).وقال **ابن بسام الشنتريني**(ت٥٤٢هـ):"**إمام أئمة أهل العراق بين الاختلاف والإتفاق ، إليه فزع علماؤها، وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها، وجماع شاردها وآنسها، ممن سارت أخباره، وعرفت به أشعاره، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره، إلى تواليفه في الدين، و تصانيفه في أحكام المسلمين، بما يشهد أنه فرع تلك الأصول، ومن أهل ذلك البيت الجليل**"(٩٣). وقال **ياقوت الحموي**(ت٦٢٦هـ)أنه:"**مشهور بالعلم، معروف بالفهم. توحد في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم، كعلم الكلام والفقه والأصول والأدب والنحو والشعر واللغة وغير ذلك**(٩٤). وعلى الرغم من أن **ابن حجر العسقلاني** أساء للشريف المرتضى في ترجمته، **واتهمه نقلاً عن ابن حزم بأنه من كبار المعتزلة، ونعته بالرافضي، وأنه هو من وضع نهج البلاغة لما فيه من سب الصحابة، والحط من منزلة أبي بكر وعمر، وما فيه من التناقض والركاكة..**، إلا

إن **ابن حجر** اعترف **بمشاركته القوية في العلوم، وأنه أول من جعل داره داراً للعلم وقدرها للمناظرة، وأنه حصل على رياسة الدنيا في العلم مع العمل الكثير والمواظبة على تلاوة القرآن وقيام الليل وإفادة العلم، وأنه كان لا يؤثر على العلم شيئا مع البلاغة وفصاحة اللهجة**[٩٥].

نتائج البحث :

١/كانت شخصية الشريف المرتضى مثالاً للوسطية التي أرساها أئمة أهل البيت(ع)في الانفتاح على الآخر المختلف، والتعامل معه بأريحية واحترام ومودة بعيداً عن الاستفزاز والطعن والانتقاص، أو القدح المؤدي إلى النزاع والقطيعة. وقد اسهمت البيئة الأسرية التي نشأ فيها فضلاً عما اكتسبه من اساتذته ومعلميه في بناء شخصيته المتميزة وتعميق مساحة الاعتدال في وعيه ثقافته. وقد مر البحث على عدد من الأمثلة والعينات التطبيقية التي تثبت ذلك. وقد استمر حضور هذه الروحية في متبنيات التعامل مع الآخر من قبل علماء وفقهاء الشيعة في مجمل الميادين الفكرية على امتداد المساحة الزمنية وصولاً للوقت الراهن.

٢/ كان الشريف المرتضى يصدر في تعاملاته تلك من موقع المقتدر المتمكن لا من موقع المغلوب على أمره أو الضعيف وفاقد القدرة. ودليل ذلك أنه لم يلجأ للاستقواء بالسلطة البويهية في دعم طائفته تجاه الآخر المختلف على الرغم من قدرته على ذلك وسهولة تحقيقه. ومع ما أبداه الآخر من استقواء بسلطة الخليفة تارة أو قوة الجند الاتراك تارة أخرى، كان موقف المرتضى ثابتاً ولم يحاول تأزيم المواقف والاستفادة من التوافق المذهبي بينه وبين السلطة البويهية، أو توسيع هوة الخلاف والنزاع عبر تثوير أبناء طائفته ودفعهم لمقابلة الإساءة بمثلها، أو الاتيان بفعل مضاد انتصاراً لسمعته ومكانته الدينية والدنيوية، وإنما كان على الدوام عنصراً فاعلاً في احتواء الأزمات وتطويقها، وعدم الزج بأبناء الطوائف والمذاهب الإسلامية للتناحر فيما بينهم، على الرغم من أن حوادث الفتن قد سجلت تعدياً صريحاً مسنوداً بسلطة مؤسسة الخلافة أو من يرتبط بها، عبر منع الشعائر الخاصة بمذهب أتباع أهل البيت(ع) تارة وغلق مسجد براثا وفرض الخطيب الذي يمثل توجه السلطة وتعيين نوعية الخطبة التي تلقى في المسجد تارة أخرى. أو عبر غيرها من الأسباب المفتعلة. وكان التزام الشريف المرتضى بهذه الطريقة من التعاطي والتعامل الهادئ صادراً عن حرصه البالغ في منع المزيد من حالة التشرذم التي تأكل الجسد الإسلامي بشكل عام.

٣/ حفل منجز الشريف المرتضى، وفي شتى الميادين التي طرقها بمزيد من سلوك وروح الاعتدال والانفتاح على الآخر عبر الحوار الهادئ والهادف فقرن القول بالفعل. وهو مع ذلك لم يتوانى عن التعبير عن معتقداته واستحقاق أهل البيت المسلوب في الخلافة، وعن أهليته هو شخصياً لإدارة

شؤون السياسة في الدولة، وقد بدا ذلك جلياً في قصائده التي كان ينظمها في المناسبات الدينية أو المواقف السياسية والاجتماعية.

الهوامش:

(١) بدأت الدعوة لها عام ٢٨٨هـ، وقامت عام ٢٩٦- ٢٩٧هـ.المقريزي:اتعاظ الحنفا،١/٥٥-٦٦.

(٢) عن إسلام بلاد الديلم وتشيع البويهيين ينظر.وفاء محمد علي: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، ١٢- ١٦.

(٣) للتفاصيل عن أصلهم وتكون دولتهم ينظر. ابن مسكويه: تجارب الأمم،٥/١٥٧-١٦٨،١٦٢-١٧٤، ١٨٢-١٨٣،١٩٨-٢٠٣،٢٥٣-٢٦٣،٢٦٨-٢٧٦؛ابن الجوزي:المنتظم،١٤/٤٢؛ابن الأثير:الكامل،٨/ ٢٦٤-٢٨٦،٣٢٤-٣٢٦،٣٤٠-٣٤٣،٣٥٩-٣٦٣،٣٦٩-٤١٢،٤٤٤- ٤٥٠؛ابن الطقطقا:الفخري،٢٧٧- ٢٨٠. وعن مجمل أحوالهم منذ نشأتهم حتى سقوط دولتهم ينظر كتاب: الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين. للمؤلف: وفاء محمد علي.

(٤) تنظر وفاء: الخلافة العباسية،١٦-٣٦.

(٥) ابن الأثير:الكامل،٨/٤٥٠.

(٦) عن أصلهم وتكون دولتهم ينظر الحسيني: صدر الدين أبو الحسن علي:أخبار الدولة السلجوقية،١- ٢٢؛ ابن الأثير:الكامل،٩/٣٧٧- ٣٩١، ٤٧٣- ٤٨٩، ٤٩٥- ٥١٢، ٥٠٤- ٦١١؛ابن كثير:البداية والنهاية، ١٢/٦٠- ٦١، ٦٨، ١١١- ١١٢؛١٢/١٨٩-١٩٠.

(٧) خير من تحدث عن ذلك. داعي الدعاة الفاطمي هبة الله المؤيد الشيرازي في كتابه: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة. وهو معاصر للسيد المرتضى.

(٨) ابن الأثير:الكامل،٨/٤٥٢- ٤٥٣. بتصرف بسيط.

(٩) الذهبي: دول الإسلام،١٨٨.

(١٠) الفخري في الآداب السلطانية،٢٨٨-٢٨٩.

(١١) المختصر في أخبار البشر،٢/٩٤.

(١٢) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٨/٥٤٩.

(١٣) وهي منطقة قريبة من نهر الدجيل. وهناك حدثت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة(٧٢هـ)فقتل مصعب ، ودفن هناك وقبره هناك معروف. وقد رثاه عبيد الله بن قيس الرقيات فقال:

إن الرزيــة يــوم مسكن * والمصيبة والفجيعة
يا بن الحــواري الـــذي * لم يعده يوم الوقيعة
غدرت به مضر العراق * فأمكنت منه ربــيعة.

ياقوت الحموي: معجم البلدان،٥/١٢٧.

(١٤) ابن الجوزي:المنتظم،١٤/١٥.

(١٥) تنظر ترجمته عند: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين،٥٤٤.

(١٦) تنظر مقدمة المترجم،١٢/١. وقد تحدث المؤلف نفسه عن مميزات هذا العصر في الفصل الأول الذي جاء بعنوان المملكة الإسلامية،١٩/١ وما بعدها.

(١٧) ٢٥٧/٢- ٢٥٩.

(١٨) يتيمة الدهر،٢٦٠/٢.

(١٩) يتيمة الدهر،٢٦١/٢- ٢٦٤.

(٢٠) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،٥٣/١- ٦٧.

(٢١) عن شخصيته العلمية والأدبية وتراثه الفكري ينظر.الثعالبي: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،١٨٣/٣- ٢١٣.

(٢٢) عن شخصيته العلمية والأدبية وتراثه الفكري ينظر.الثعالبي: يتيمة الدهر،٢٢٥/٣- ٢١٣-٣٣٧.

(٢٣) أحمد المعتوق:الشريف المرتضى،١٨.

(٢٤) عنه ينظر. الثعالبي:يتيمة الدهر،١٤٥/٣- ١٥٣؛ ابن خلكان:وفيات الأعيان،٣٥٤/٢- ٣٥٦.

(٢٥) ابن الجوزي:المنتظم،٣٦٦/١٤.

(٢٦) ابن عنبة:عمدة الطالب،٢٠٢- ٢٠٧؛الخوانساري: روضات الجنات،٢٨٤/٤.

(٢٧) ابن عنبة:عمدة الطالب،٢٠٥؛الخوانساري:روضات الجنات،٢٨٤/٤.

(٢٨) الخوانساري: روضات الجنات،٢٨٥/٤ .

(٢٩) يتيمة الدهر،٤٤٧/٢.

(٣٠) ابن أبي الحديد:شرح نهج البلاغة،٢٨٥/١٥- ٢٨٦.

(٣١) ابن الجوزي:المنتظم،٧١/١٥- ٧٢؛ابن عنبة: عمدة الطالب،٢٠٣- ٢٠٤.

(٣٢) ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،٢٢٤/٤.

(٣٣) ابن الجوزي:المنتظم،٣٤٤/١٤.

(٣٤) يتيمة الدهر،١٥٥/٣.

(٣٥) ابن الجوزي:المنتظم،١١٤/١٥- ١١٩.

(٣٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان،٤١٥/٤؛اليافعي: مرآة الجنان،١٥/٣.

(٣٧) ابن الجوزي:المنتظم،١١١/١٥- ١١٢.

(٣٨) الماوردي: الأحكام السلطانية،١٣٩وما بعدها.

(٣٩) الماوردي: الأحكام السلطانية،١٠٢.

(٤٠) الماوردي: الأحكام السلطانية،١٢٦.

(٤١) ابن الجوزي:المنتظم،٢١٧/١٥.

(٤٢) ابن الجوزي:المنتظم،٢٢٦/١٥.

(٤٣) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٣٤- ٢٣٥.

(٤٤) لسان الميزان،٤/٢٢٣.

(٤٥) المعتوق:الشريف المرتضى،٥٥.

(٤٦) المعتوق:الشريف المرتضى،٣٥- ٣٦.

(٤٧) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،١/ ١٣٣-١٣٤. بتصرف طفيف.

(٤٨) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٨/٦١٨-٦١٩.

(٤٩) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٨/٦٣٢.

(٥٠) ابن الجوزي:المنتظم،١٤/٣٥٦؛الذهبي: تاريخ الإسلام،٢٧/٩.

(٥١) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٥٨- ٥٩؛الذهبي:تاريخ الإسلام،٢٧/٢٣٧- ٢٣٨.

(٥٢) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١١١؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٢٦٣.

(٥٣) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٢٥، ١٦٧.

(٥٤) ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٣٣٦.

(٥٥) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٩٧- ٢٠١؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٣٣٦.

(٥٦) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٤.

(٥٧) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٨.

(٥٨) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٣- ٢١٤.

(٥٩) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٦.

(٦٠) آدم متز:الحضارة الإسلامية،١/١٤٠.

(٦١) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١١١.

(٦٢) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٥٧.

(٦٣) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٢٥- ١٢٦.

(٦٤) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/١٩٧- ٢٠١؛ابن الأثير:الكامل في التاريخ،٩/٣٣٦.

(٦٥) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٤.

(٦٦) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٣- ٢١٤.

(٦٧) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢١٣- ٢١٤.

(٦٨) ابن الجوزي:المنتظم،١٥/٢٠٨.

(٦٩) ينظر ابن الجوزي: المنتظم،١٥/٢٢٦-٢٢٧، ٢٤١، ٢٥٣-٢٥٤.

(٧٠) ينظر ابن الجوزي: المنتظم،١٥/٢٣٤-٢٣٦.

(٧١) المعتوق: الشريف المرتضى،٣٩.

(٧٢) ديوان الشريف المرتضى، ٣/٣٥٨-٣٦٠.

(٧٣) ديوان الشريف المرتضى، ٢١١/٣.

(٧٤) المعتوق: الشريف المرتضى،٤٠-٤١.

(٧٥) الطلاح مفردها الطلح وهو البعير الهزيل، واللواغب مفردها اللاغب وهو المتعب. والمعنى: فلا تمشوا في الأرض متبخترين فرحاً، فالبعير الهزيل يستطيع المشي مع تعبه. ديوان الشريف المرتضى،٨٢/١.

(٧٦) ديوان الشريف المرتضى، ٨٠/١- ٨٣. والمقعي هو الجالس على مؤخرته مع نصب الفخذين تحفزاً وتهيؤاً للوثب. ديوان الشريف المرتضى،٨٣/١.

(٧٧) المعتوق:الشريف المرتضى،٥١- ٥٢.

(٧٨) رسائل المرتضى،١٨٧/٢.

(٧٩) تنزيه الأنبياء،١٥.

(٨٠) ينظر. المعتوق: الشريف المرتضى،٥٢-٥٥.

(٨١) عنه ينظر ابن المرتضى: طبقات المعتزلة،١١٢- ١١٣.

(٨٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد،١٣/٢٠- ١٤ .

(٨٣) أحمد بن يحيى بن إسحاق، عرف بالإلحاد والزندقة. وكان من الشخصيات المعروفة بعلم الكلام في عصره، وله من الكتب المصنفة نحو ١١٤ كتابا، منها كتاب **فضيحة المعتزلة**. ابن كثير:البداية والنهاية ٣٨٢/١٠.وللاستزادة ينظر ابن الجوزي:المنتظم،١٠٨/١٣- ١١٧.

(٨٤) الشافي في الإمامة،٣٨/١.

(٨٥) المعتوق:الشريف المرتضى،٥٣- ٥٤.

(٨٦) المعتوق: الشريف المرتضى،٥٠.

(٨٧) ابن حجر: لسان الميزان، ٢٢٣/٤.

(٨٨) الانتصار،٧٥.

(٨٩) الانتصار،٧٦.

(٩٠) ينظر. المعتوق: الشريف المرتضى،٩٢- ١٠٦، ١٨٠-٣٤٠. فقد ذكر أمثلة عديدة للتعامل بتلك المنهجية في تراثه الأدبي النقدي.

(٩١) يتيمة الدهر،١٥٥/٣.

(٩٢) دمية القصر،٢٩٩.

(٩٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،٤٦٥/٤- ٤٦٦.

(٩٤) معجم الأدباء،٣٢٨/٤.وينظر: السيوطي:بغية الوعاة،١٦٢/٢.

(٩٥) لسان الميزان،٢٢٣/٤. بتصرف بسيط.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر الأولية:

- ابن الأثير: عز الدين أبى الحسن علي بن أبي الكرم. ت(٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

١/ الكامل في التاريخ(دار صادر: بيروت-لبنان ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

- ابن بسام: أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني(ت٥٤٢هـ/١١٤٥م).

٢/ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس(ط١،دار الثقافة: بيروت-لبنان١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف. ت(٨٧٤هـ/١٤٦٩م).

٣/النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين(ط١،دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- الثعالبي: أبو منصور عبد الملك النيسابوري(ت٤٢٩هـ/١٠٣٧م).

٤/ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة(ط١،دار لكتب العلمية: بيروت- لبنان١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

- ابن الجوزي: ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م).

٥/ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. دراسة وتحقيق: محمد ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور.(ط١،دار الكتب العلمية : بيروت-لبنان ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

- ابن حجر: أحمد بن علي العسقلاني. ت(٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

٦/ لسان الميزان(ط٢،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت- لبنان ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

-ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله محمد. ت(٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

٧/ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم(ط١،دار احياء الكتب العربية: القاهرة- مصر ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

-ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم. ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م).

٨/ وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس(دار الثقافة: بيروت-لبنان د.ت).

-الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ت(٧٤٨هـ/١٣٤٧م).

٩/تاريخ الإسلام. تح: عمر عبد السلام تدمرى(ط١،دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

١٠/ دول الإسلام.(ط١،مؤسسة الأعلمي: بيروت- لبنان١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

-السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد. ت(٩١١هـ/١٥٠٥م).

١١/ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم(ط١،المكتبة العصرية: بيروت–لبنان١٩٦٤م).

- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى. ت(٤٣٦هـ/١٠٤٤م).

١٢/ ديوان الشريف المرتضى. شرح:محمد التونجي(ط١،دار الجيل:بيروت–لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

١٣/ رسائل المرتضى. تقديم وإشراف:أحمد الحسيني(دار القرآن الكريم: قم– إيران ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

- ابن الطقطقي: محمد بن علي بن طباطبا(٧٠٩هـ/١٣٠٨م).

١٤/ الفخري في الآداب السلطانية(ط١، دار صادر: بيروت– لبنان١٩٠٠م).

- ابن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني(ت٨٢٨هـ/١٤٢٤م).

١٥/عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب. تحقيق وتصحيح: محمد حسن آل الطالقاني(ط٢، المطبعة الحيدرية: النجف الأشرف ١٣٨٠هـ/١٩٦١م).

- أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة. ت(٧٣٢هـ/١٣٣١م).

١٦/ المختصر في أخبار البشر: تاريخ أبي الفداء(ط١،المطبعة الحسينية المصرية: مصر ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م).

–القاضي عبد الجبار: أبو الحسن الأسدآبادي(ت٤١٥هـ/١٠٢٣م).

١٧/المغني في أبواب التوحيد والعدل.تحقيق: محمود محمد قاسم(ط١، مصر١٩٥٨م).

–ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل الدمشقي. ت(٧٧٤هـ/١٣٧٢م).

١٨/ البداية والنهاية في التاريخ. تح: علي شيري(ط١،دار إحياء التراث العربي: بيروت– لبنان ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

–الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب(ت٤٥٠هـ/١٠٥٠م).

١٩/ الأحكام السلطانية والولايات الدينية(ط٢،دار التعاون: مكة المكرمة– المملكة السعودية ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م).

–ابن المرتضى: أحمد بن يحيى بن المرتضى الزيدي(ت٨٤٠هـ/١٤٣٧م).

٢٠/طبقات المعتزلة. تحقيق ونشر: مؤسسة ديفلد فلرز(ط٣، بيروت– لبنان١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

–مسكويه: أبو علي الرازي(ت٤٢١هـ/١٠٢٩م).

٢١/ تجارب الأمم.تحقيق: قاسم إمامي(ط٢، دار سروش: طهران– ايران١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).

–المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد. ت(٨٤٥هـ/١٤٤١م).

٢٢/ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. تح: جمال الدين الشيال(ط٢،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة- مصر ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

-المؤيد في الدين: هبة الله بن موسى الشيرازي(ت٤٧٠هـ/١٠٧٨م)

٢٣/ سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة- السيرة المؤيدية. تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين (ط١،دار الكتاب المصري: القاهرة- مصر ١٩٤٩م).

-اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. ت(٧٦٨هـ/١٣٦٦م).

٢٤/ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. وضع حواشيه: خليل المنصور(ط١،دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

-ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

٢٥/معجم الأدباء:إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تح:إحسان عباس(ط١،دار الغرب الإسلامي: بيروت- لبنان ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

٢٩/ معجم البلدان(دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

المصادر الثانوية:

- آدم متز.

٣٠/ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الميلادي- عصر النهضة في الإسلام. ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة(ط٥، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان١٩٦٧م).

-بدوي: عبد الرحمن.

٣١/ موسوعة المستشرقين(ط٣، دار العلم للملايين: بيروت- لبنان١٩٩٢م).

- الخوانساري: ميرزا محمد باقر الموسوي.

٣٢/روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات(ط١، الدار الإسلامية: بيروت- لبنان ١٤١١هـ/١٩٩١م).

- وفاء محمد علي.

٣٣/الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين(ط١،دار المكتب الجامعي الحديث: الاسكندرية- مصر ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

-المعتوق: أحمد محمد.

٣٤/الشريف المرتضى:حياته، ثقافته، أدبه ونقده(ط١، المؤسسة العربية للنشر والدراسات: بيروت - لبنان٢٠٠٨م).